

الموقف من الوجود والاستجابة الوجدانية في شعر شكوى العذريين

أ.د. صباح عباس عنوز

الباحثة ضحى فلاح عبد

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

المقدمة:

ذكر البحث في الموضوعات سابقاً بأن الاستجابة الوجدانية هي عملية استقبال الكلام بلذة واكتشاف ، أيّ هناك محاورة بين الوجدان وعملية التلقي ، إذ يهرع المنشئ إلى إنتاج النص برغبة وجدانية ، ولهذه الرغبة علاقة بالمجال الثقافي لأن الأخيرة تعنتي به الثقافة الخارجية التي يدّر بها المجتمع على المنشئ ، فما يختلف المنشئ من واقعه تدخل ضمن أطار المجال الثقافي ولما جاء الاسلام فرض أشياء أخرى فكان المجال الثقافي مقيداً بفرضيات وتعاليم فرضها الاسلام الحنيف^١ .

إن الغزل العذري لم يكن موضوعاً شعرياً طارئاً ، فحين نشأ غزل العذريين في ظل الأجواء الإسلامية الجديدة على حياة الشاعر العربي ، نقلها من طور التجزئة القلبية الى طور التوحد تحت راية الاسلام، فتلقى هذه الأجواء برحابة صدر واستجاب استجابة سريعة، فتتقف بثقافة القرآن حين جاهد نفسه بشوقه ولهفته واختيار أسلوب جديد يتماشى مع الواقع وهذا يرجع الى طبيعة الظروف التي صاغت بعض الظواهر الاجتماعية و الدينية و العاطفية صياغة خاصة ، وبهذا تفاعل مع البيئة التي خضع لمؤثراتها فساعد ذلك على التطور والتوجه نحو اتجاه واحد^٢ ، وقد تغيرت أساليب القول الشعري عند بث الشكوى بعد مجيء الدين الاسلامي الحنيف ، الذي غدّى مجال الشاعر الثقافي كثيراً مع أن ظهور الدين الإسلامي قد قلل من قصائد الغزل بسبب انشغال العرب بالمعارك مع المشركين ، فلم يكن هنالك مجال للهو وحديث القلب ، والعبث مع النساء و التودد اليهن ، وفي أحيان أخرى كان بعضهم يتحرج من اثم او خوف من منع فقد حرم الاسلام التحرش بالنساء لذلك خفت هذا اللون الشعري^٣ ، لكن مما ساعد على الاستمرارية كون هذه الظاهرة في بعض جوانبها تعبر عن الحب ، فهو ينتمي الى عالم من المشاعر

والعواطف، أكثر مما ينتمي الى عالم العقل، وعلى الرغم من ذلك فالشعراء العشاق عبروا كلا حسب اتجاه اخلاقي معين يلونون به قصائدهم معتمدين على مجال ثقافي جمع بين القديم والجديد الذي فرضته البيئة (التخطيط والاستمرارية من أجل الوصول إلى بلاغة أكبر للتأثير في السياقات الفكرية)^٥ ، بوصفها وعاء يستوعب جميع مجالات الثقافة والتقاليد للمجتمع، وتحويلها الى نتاج ابداعي فتؤدي دورا مهما في تطويع المعاني^٦ ، ولا سيما وان الاسلام (لم يلغ جميع القيم الجاهلية ، وإنما أبقي على طائفة منها، وهي تلك السجاياء التي ينبغي أن يتحلى بها المرء في كل عصر)^٧.

أخذت ظاهرة الصراع النفسي حيزاً كبيراً في الشعر العذري بوصفها أعلى درجات الصفاء والنقاء الروحي، بل هي من أكثر الظواهر الحاحاً وتواجداً ، فلا نكاد نجد قصيدة او مقطوعة والصراع موجوداً وبارزاً فيها، فله الاثر البالغ في السيطرة على المشاعر والعواطف والانفعالات ، فهي تجرد النفس وتضغط على الذاتية والانانية^٨، لأن الغزل العذري ما هو الا ابراز للوجع العشقي بالدرجة الاولى من فرط الحنين نتيجة التوتر النفسي ، فهو الجذر المضر لكل فكر احتجاجي في التراث العربي^٩ ، فالصراع مظهر ثقافي له علاقة واضحة بالاستجابة الوجدانية تتمثل (بالتشكيل الفني ، وبنية القصيدة ، و ما تتضمنه من عناصر متضادة ومتصارعة ، و ثنائيات ضدية ومفارقات ناطقة بأشكال التوتر و الصراع)^{١٠} ، لذا فالطابع العربي وتراثه موجود في الحالة الشعورية ذاتها التي واجهت الحالة النفسية والبيئية لتحمل ردود فعل قاسية وجافية وجاحدة ، ادت الى تحريك وجدانهم فصوروها شعراً عربياً واضحاً وغزلاً عذرياً خالصاً، وهم يمثلون شعراً اسلامياً مجاري للوضع المفروض ، فتوحدوا في الشكل والمضمون ، حريصين على ارضاء ذلك الذوق ، مستمدين من التراث معانٍ تقوي من نصهم الشعري، وفي الوقت نفسه ترضي اذواق المتلقين على اختلاف ثقافتهم وتوجهاتهم^{١١} ، فانقسم الشعر العذري في ظل الصراع العربي الى قسمين :

أ- الصراع الاجتماعي الواقعي (الخارجي) :

تتجلى العلاقة بين وجوه الوجود أي الموقف من الواقع المعيش و الاستجابة الوجدانية بشكل متميز ، فالشاعر العذري كان يطمح ان تبلغ علاقته بمحبوبته غاية مشروعة ، هي الغاية التي أقرها المجتمع

والدين ، الا انه واجه العراقيل والحواجز والسدود ، الأمر الذي جعله طريد الالهل والسلطة ، فلا يستطيع رؤيتها او اللقاء بها بسبب التربص له ^{١٢} ، فولد ذلك لديه احتجاجاً ، وبات هذا الاحتجاج يعبر عن موقف الرفض حين يواجه الفرد (الانا) للمجتمع دون وسيط في مواجهة (النحن) الهائلة ، وهي شفرة اجتماعية ادرك مضمونها الطرف الاخر، تحمّل صبرها الذات المسلمة خاصة في جوانبها الروحية ، فرضتها متطلبات روح التاريخ والقهر الاجتماعي ^{١٣} ، فالشاعر العربي اعتنى بأساليب البيان العربي حين اخذ لوناً اجمل وطابع احسناً ، وسبيلاً اقوم ، فقد هجروا الالفاظ النابية والعبارات المكشوفة والمعاني الهزيلة غير المرغوبة ، والالفاظ المفضوحة ^{١٤} ، فكان الاعتناء قائماً على صيغ التعبير الموحية المعبرة عن أعماقه ، والشاعر العربي دفع كمية هائلة من الوجد والضغط في سبيل مقاومة رغباته ، وهذا الأمر اعتمد على الجانب التاريخي من الروح والجانب الطبيعي الأصيل الأمر الذي ولد لدى الفرد انشطاراً بين القبول والرفض اي القبول بمطالب الروح التاريخي الحاضن للتمثل ، والرفض الذي تمارسه الطبيعة ، فيوسف اليوسف عد الشاعر العذري كالطفل المدلل تغلب عليه الانانية وعشق اللذة ^{١٥} ، والصراع (أيّا كان لونه موجود في نواحي الحياة المختلفة، في الفكر والحرب والحب والكراهية والغنى والفقر والرحمة والقسوة والظلم والعدل وموجود او منعكس على النفس الإنسانية وذلك مجال مثير يكتنفه الغموض) ^{١٦} ، وهذا التلوين تحكمه القوة الفنية في الاداء ، لذا كان شعرهم ناضجاً بالقدر الكافي ، فالشريعة الاسلامية عملت جاهدة على ترسيخ قاعدة الثقافة الاسلامية وتوسيعها ، إذ رافق الحب العفيف اهتمام وتوجيه خاص بحب المرأة ، وتجسد ذلك كثيراً من قصائد الشعراء العذريين ، لأن الشعر تحكمه قوة الانفعال الانساني والمخيلة الشعرية وموهبة الشاعر وقابليته في خلق ثقافة معينة تتوافق مع نوعية الاتجاه المفروض ^{١٧} .

فهذا جميل بن معمر* فاض شعره بالغزل العفيف ، وأعطى للشعر العربي صوراً رائعة مليئة بالقوة و الحسن ، على الرغم من حالة العصيان حين عصى العواذل في هجرها ، ولم يغير ذلك من موقفه شيئاً ، فعلى الرغم من تناقل بثينة ورفض اهله ، فهو يرضى بهذا الظلم ، ولم يتمرد عليهم الا شعراً ، فهو

يرضى بالقليل وما ترتب على هذا القليل في المستقبل من لوعة و اشتياق ، لان المحب يعيش دوماً في ظلال الأمل^{١٨} ، هذا الحب الصادق الذي عاناه جميل والذي اظهر حال قلبه وهو يقدم المبررات لقصة حبه الطويلة ، لكن بنفس راضية وقابله بكل حالات صعوبة نيل المراد من الصد والهجر ، فلا يستطيع ان يفر من الشكوى بقي يعاني من همومه ، تلك الهموم المتمثلة بكثرة الواشين حوله ، يقول^{١٩} : (الطويل)

وأني لأرضى ، من بُثينة، بالذي لو ابصرة الواشي ، لفرت بلابلُ
بلا و بالأ أستطيع و بالمئى وبالوعد حتى يسأم الوعد آملُ
وبالنظرة العجلى وبالحوّل تنقضي وأخره لا نلتقي ، وأوائلُ

أبيات جميل طغى عليها طابع الألم والحرقة ، والوعود التي بدون تحقيق اللقاء ، كلها أدّى نفسية تحملها الشاعر، وهنا يترفع جميل (عن الاتصال الجسدي إالحالات والمواجد فيرى حبيبته تتجسد في الجمال)^{٢٠} ، فكانت الوشاية حاضرة في صورة شعرية التي بدت واضحة في فضاء النص العذري ، فالشاعر على صراع دائم ومستمر مع الواشين ، وهذا يرجع للسلطة الاجتماعية وما تحتويه قيمها ، فقد أصبح الواشون مصدر قلق وتوتر بالنسبة للعذريين ، فهم يتلقطون أخبارهم ، ويتربصون بهم ، ويصيّدون هفواتهم، مزيدين الأهم وقهرهم الدائم^{٢١} ، فالشكوى عند الشاعر تبين مدى قوة التحمل لهؤلاء العشاق، يقول الشاعر^{٢٢} : (الطويل)

يقول لي الواشون ليلي قصيرة فليت ذراعاً عرض ليلي وطولها
وإنّ بعينها لعمرك شهلة فقلت كرام الطير شهل عيونها
وجاحظة فوهاء لا بأس إنها منى كبدي بل كل نفسي وسولها
فدق صلاب الصخر رأسك سرمداً فإني إلى حين الممات خليلها

عدّ بعض الباحثين الوشاية هي نزعة استسلامية يتصف بها العذري للرضوخ الإجباري أمام سلطة القيم للمجتمع العربي ، فكان الواشون مصدراً لشقاء العاشق ومعاناته على طول حياته ، فليس لديهم مكان أو زمان محددان بل هم موجودين في كل حقه ، متلونين ليس لديهم ما يثبتهم ، لذلك فإن قسوة المجتمع

وَلَدْتُ حرماناً كان له دور في انفجار العواطف الحارة ، وبيان دورهم في الوقوع بينهم وبين من احبوا ، وهذه أحد ملامح الغزل العذري التي وجدت منذ العصر الجاهلي ^{٢٣} ، يقول شاعر اخر عانا هو الآخر من مرارة الحب ^{٢٤}: (بحر الطويل)

فَمَا نَقَعْتُ نَفْسِي بما أَمْرُوا بِهِ وَلَا عَجْتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ بَقَيْلِ *

من هنا نشأ الصراع في الغزل اجتماعياً، فهو العاطفة الناعمة المختلطة بمشاعر الاخلاص والوفاء لمحبوبة واحدة ولا يحب بعدها ، وهذا صدق نفسي عكس صدقة التعبير ، حين لم يحظى بها واليأس من الوصول لها بعد ان تتزوج او تتغرب ^{٢٥}، وهذا ما وجدناه في الشعر العذري ، يقول الشاعر ^{٢٦}: (بحر الطويل)

أَلَا حُجِبْتُ وَ إِلَى أَمِيرِهَا عَلَيَّ يَمِيناً جَاهِلاً لَا أَزُورُهَا
وَأُوْعِدُنِي فِيهَا رَجَالٌ أَبْوَهُمْ أَبِي وَأَبُوها خُشْتُ لِي صَدُورُهَا
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ أَنِي أَحْبَبُهَا وَأَنْ فُؤَادِي عِنْدَ لَيْلَى أُسِيرُهَا
وَأَنِي إِذَا حَنَنْتُ إِلَى الْإِلْفِ إِلْفُهَا هَذَا بِفُؤَادِي حَيْثُ حَنَنْتُ سَحُورُهَا

إن قارئ هذه الابيات يجد شعوراً بالحالة الاجتماعية و النفسية ، وهذا نوع من الصراع الذي بقي مستمرا منذ العهود الأولى للإنسان العربي ، ودلت هذه الحالة على ظهور نتيجة أدبية بسبب العلاقات بين افراد المجتمع العربي ، بمعنى أن هذا الذي وجد في قصائدهم ليس تواصل خطي، و انما زاد من ثقافته وطور الحالة الاجتماعية فدل على انها ارث أدبي فهو شارحٌ للواقع الذي لا يتعارض مع الخيال ^{٢٧} ، فنحن (امام مجتمع شديد المحافظة تحتجب فيه المرأة عن الرجل وتلقي على وجهها برقعاً إذا لقيت رجلاً من غير اهلها) ^{٢٨} ، هذا الواقع الذي منع من رؤية محبوبته ، فسار في طريق الأسى مضطراً من دون ذنب ، فتعقدت مأساته ^{٢٩} ، فالمحب دائماً غايته ان يحظى برؤية المحبوبة وعندما يعجز يتذكرها او يصورها في خاطره هرباً من لوم اللائمين ، يقول جميل ^{٣٠}: (بحر الخفيف)

لَا مَنِي فِيكَ ، يَا بُثِينَةُ ، صَحْبِي لَا تَلُومُوا ، قَدْ أَقْرَحَ الْحُبُّ قَلْبِي

زعمَ الناسُ أنّ دائيّ طَبّي أنتِ ، والله ، يا بُشينةُ ، طَبّي
 الشاعر لا يجد عذرا لهذا الحب سوى انه هائم بها ، فما شأن الأصحاب والأهل ، فجميل يقدّم كل الأدلة
 والبراهين على حبة العفيف فلم اللوم ؟ يقول الشاعر^{٣١} : (بحر الطويل)
 يقولُ لي الأصحابُ إذْ يَغْذُلُونَنِي أَشَوْقُ عِرَاقِي وَأَنْتَ يَمَانِ
 وليسَ يَمَانٍ للعراقي بِصاحبٍ عسى في صُرُوفِ الدَّهْرِ يَلْتَقِيَانِ
 ان الشاعر دخل على صراع بينه وبين مجتمعه ، أو البيئة الجديدة ، التي (اتسمت بالطهر و العفة والنقاء
 ، وهو شعر الحرمان والحب الطاهر ، ... وحقا أن الإسلام اضفى على هذا الحب الطاهرة والزهد والتقوى
 ، وقد اضعفت الاعراف و التقاليد والشيم العربية القبلية في الجاهلية مثل العفة التي اضافها عليه الاسلام
)^{٣٢} ، فيكون هاجسه الوحيد هو البعد الذي سبب ذلك الصراع ، يقول الشاعر^{٣٣} : (بحر الطويل)
 يقولون ودّعْ عنكَ ليلي ولا تهَمْ بِقَاطِعَةِ الْأَقْرَانِ ذَاتِ حَلِيلٍ *
 فَمَا نَقَعْتَ نَفْسِي بما أَمْرُوا بِهِ وَلَا عَجْتُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ بِفَتِيلٍ *
 أن الشاعر في شكواه صراع اليم حين طلب منه الجميع ترك ليلي ، وأن لا يتوله بها ، لكنه لم ينتفع
 بقولهم ولن يرتوي بما يأمرون به ، لذا فالصراع الاجتماعي من أعرق التجارب الشعرية التي لها علاقة
 ليس بوجودان الشاعر وعواطفه فحسب بل بالآهات الحزينة التي أملاها على الشاعر العذري بشعور
 الجماعة التي ينتمي اليها ، و التي كانت حاضرة أولا و اخراً في الحنين إلى الاستقرار^{٣٤} .
 مما تقدم تبين أن لوحدة الصراع أي موقف الشاعر من واقعه أثراً في عملية القول الشعري ومن ثم حصول
 الاستجابة الوجدانية بسبب محاورة ذات المنشئ لذلك الواقع .

ب- الصراع النفسي الفكري (الداخلي) :

إذا كان الصراع الاجتماعي ظاهراً في معاناة الشاعر مع محيطه الخارجي ، فإن هناك صراعاً نفسياً مع
 ذات الشاعر ، يخشى البوح بها فيبقى رهين ارهاصاته النفسية ، ويستطيع الباحث العثور عليها في طيات
 نصه ، إذ إن الحديث عن الصراع النفسي لدواخل الشاعر الذاتية ، حين يجابه الشخص تعارض وتطالب

بين امرين متعارضين ، نتيجة تضارب بين اوامر الواجب وميول الرغبة ، فيحدث الاصطدام عندما تظهر عوائق ارادية الغاية منها اشباع الذات^{٣٥} ، فالشعور بعدم اشباع النفس لما تريده وتطلبه تؤدي الى الصراع الداخلي والذي يولد بدوره توتراً لشخص تعوق جهوده للوصول إلى هدف معين رسمه لنفسه بعيداً عن السلبيات او الإيجابيات^{٣٦}.

الاستجابة الوجدانية أدت بالشاعر إلى أن يرسم خياله بطريقة كيفما هو يرى من أجل البقاء والوجود، لأن الواقع مرّ ومتشدد ، فجوّزَ لنفسه أن يعيد سرد احداث قصة حبّه ، محاولة لتثبيت ماراد أن يوصله للمتلقي وان كانت غير مجدية ، فهو يقدم دليلاً واضحاً على عفة وطهارة عشقه وهذا نوع من الصراع المستمر الذي لازم الشاعر حتى فنائه^{٣٧} ، على ان (الحب العذري لا يقوم على الزهد المطلق في المتعة الحسية ، وإنما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان مطامع الافئدة ، ومطالب الحواس)^{٣٨} ، فالشاعر الذي يشكو حرمانه الدائم يبقى في صراع طويل مع ذاته كما في قول الشاعر^{٣٩} : (بحر الطويل)

أَيَا كَبِدًا طَارَتْ صُدُوعًا نَوَافِذَا وَيَا حَسْرَتَا مَاذَا تَغْلَعَلْ فِي الْقَلْبِ
فَأَقْسِمُ مَا عُمِشُ الْغُيُوثِ شَوَارِفَ رَوَائِمِ بَوِّ حَائِمَاتٍ عَلَى سَقَبِ *

يبدو أن طريقة تعامل الشاعر العاطفي مع الواقع الجديد وهو يضع صورة راسخة ومعبرة عن وجودهم وكيانهم ، على الرغم بين الصراع الخفي بين الشاعر وذاته لحب البقاء والاستمرار ، فالموت والحياة هما جوهر الصراع الداخلي للعذرية^{٤٠} ، لأن الشاعر (في صراع كبير مع الزمن ، وسبيله إلى الانتصار عليه هو الموت ... تلك النعمة الشعرية في تصور استقالة الحياة ، أي التبرم بانتصار الزمن)^{٤١} ، فالمطلع على قصائد هؤلاء الشعراء يجد فكرة الموت حاضرة ، ليس يأساً كما يعتقد بعض ، بل هي نوع من التحدي النفسي، لاثبات القوة والقبول بما هو موجود والرضوخ دون التعدي ، يقول الشاعر^{٤٢} : (بحر الطويل)

فلو كان لي بالصَّرمِ ، يا صاحٍ، طاقة صرمت، ولكني عن الصرمِ اضعف
لها في سَوَادِ الْقَلْبِ بِالْحَبِّ مَتْعَةٌ هي الموت أو كادت على الموت تُشْرِفُ

تمنى الشاعر الا تحدث القطيعة، لأن الأبيات تطوي بين حروفها حراره الاشتياق الذي اشعله البعد، بوصف البعد محرك اساسي لنشوء الصراع المستمر في ذات الشاعر، لذا يصبح الصراع الداخلي للشاعر (حقيقة إنسانية عامة وصراعاً خفياً تقتضيه طبيعة الوجود ، لكن الإنسان يبقى ضحية هذا الصراع حين يتجرع الألم والنكبات، دون أن يمتلك قدرة على تغيير تلك الحقائق الكونية) ^{٤٣} ، فالصراع النفسي ضحية ذاتية حين يلوم الشاعر نفسه على ما يلقيه كما يقول الشاعر ^{٤٤} : (البحر الكامل)

يا ليتني ألقى المنية بغتة إن كان يوم لقائكم لم يُقدَّر
أو أستطيع تجلداً عن ذكركم فيُفِقَ بعض صابتي و تفكّري
لو تعلمين بما أجنّ من الهوى لعذرت ، أو لظلمت إن لم تعذري
والله ما للقلب ، من علم بها غير الظنون و غير قول المُخبر
لا تحسبي أنني هجرتك طائِعاً حَدَثْ ، لَعَمْرُكَ ، رائع أن تُهجري

أشعار المجانين الذين اشتهروا منذ ذلك الحين بسبب الم حبههم ولوعة اشتياقهم وصفاء الضمير، رسموا لنا صورة وكأن النار لاتزال مشتعلة ، فتناقلتها الالسن كونها حركت مداخل النفس واستجابة لهم القارئ ووصلت الى عمق وجدانه على الرغم من وقت وتاريخ انتشارها ، فمن المعروف ان العرب ترفض وبشدة ان يأتي شاعرا او محب بسيرة محبوبته قبل ان يتزوج بها ، وهذا ما عمل عليه العرب منذ الجاهلية ولا يزال موجودا ^{٤٥} ، يقول الشاعر ^{٤٦} :

أقول وقد أطلققتها من وثاقها فأنت لليلي إن شكرت عتيق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق
وكادت بلاد الله يا أم مالك بما رحبت منكم عليّ تضيق

حين يصور الشاعر ملامح حبيبته فهو يعتني كثيراً في رسم ملامحها، وعندما يذهب بعيدا بخياله مستمتعاً، يحيط بكل اساليب الوصف، ومن ثم يعود الى كنايتها (ام مالك) ليصور بعد ذلك كيف ضاقت به البلاد، فالشاعر على الرغم من هذا الا انه يحاول فرض وجوده، بأن يبقى دائماً في وصل الحبيبة (تلك

الصورة النمطية التقليدية التي تشكلت بفعل البنية الثقافية المحيطة، والتي فرضت نفسها على الشاعر منذ العصر الجاهلي^{٤٧}، يقول الشاعر^{٤٨}: (بحر الطويل)

أَمْنَصَدَّ قَلْبِي مِنَ الْبَيْنِ كُلِّمَا تَرَنَّمَ هَذَا الْحَمَامُ الْهَوَاتِفِ

سَجَعَنْ بِلَحْنٍ يَصْدَعُ الْقَلْبَ شَجْوُهُ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ بِافْتِرَاقِ الْأَلَايِفِ *

فقد تتجلى مفارقة الحب الكبرى والتي هي جزء لا يتجزأ من حياة البيئة الاجتماعية التي يعيشها الشاعر ، تحكمها نزعة محافظة غايتها صيانة نفسها من اوضاع الترف واللهو ، فهي تنظر الى العشق وممارسته نظرة تملأها الريبة والقلق، فقد صارع الشاعر من اجل بقاءه راضياً بقيود الاخلاق والقيم الدينية ، فظهرت الشكوى واوضحت على ان لها علاقة ثابتة ومستمرة مع الشاعر ، لان الاعتداد بالنفس شعور عارم وصاحب، فالعذاب النفسي الذي يقاسيه الشاعر في صراعها الدقيق واصرارها العميق ما هو الا محاولة لإقناع الشاعر بأنه صاحب حق مسلوب ، لذا فهو يظهر للمتلقي في مفهوم الحرمان وانه لن يعيش الا حياة الوهن و الاستكانة ، فكان نتاج هذا هو الاستجابة لعمق الابداع الذي نبع من الداخل للتخلص من عالمه المشلول^{٤٩}، مما جعلته يعاني من كبت في نزعة الانفعال لطبيعة الحب وحرمانها من تحقيق رغباتها مما ادى به الى تطويق رغبات الشاعر ضمن اضيق نطاق^{٥٠}، لذا نرى قول الشاعر^{٥١}: (البحر الطويل)

أَضَلُّ، نَهَارِي مُسْتَهَاماً وَيَلْتَقِي مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا

فَهَلْ لِيْ ، فِي كِتْمَانِ حُبِّي ، رَاحَةً وَهَلْ تَنْفَعْنِي بَوْحَةٌ لَوْ أَبَوَّحُهَا !

هذا التوجه الخطابى في شعر جميل (البوح) حين يصبح مسلوب الارادة ، ليس لديه ما يعينه على كبت هذا الشوق ، ولعل العاشق العذري وجد الكتمان افضل من البوح ، لان ذلك لا يسعفه الى التخلص مما يشعر به ، لذلك يعود الى الشعر في كل حاله يمر بها ، يقول الشاعر^{٥٢}: (البحر الطويل)

وَحَلَّتْ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فَوَادِيهِ فَلَا الْقَلْبُ يَسْلَاهَا وَلَا النَّفْسُ مَلَّتْ

فَوَ اعْجَبَاً لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُمْ وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَّئَتْ فَاطْمَأْنَنْتْ

ان القسم في الابيات الشعرية دليل واضح على اخلاص الشاعر، فكثير عانى كبقية الشعراء من هجر وصد ، وبقي في صراع نفسي مستمر ، فقلبه لا يسلاها ، وهو مطمأن وقابل لما حل بقلبه من اثرها ^{٥٣} ، قد يكول من نتائج ذلك التوطين للنفس هو الطمأنينة التي شعر بها فتعجب قلبه لما حل به ، يشابه قوله شاعر آخر يقول ^{٥٤} : (بحر الطويل)

ذكرتُك بِالْغُورِ التَّهَامِي فَأُصْعِدْتُ شَجُونَ الْهُوَى حَتَّى بَلَغَ التَّرَاقِيَا
فَمَا زِلْتُ أَرْجِي الْعَيْسَ حَتَّى كَأَنَّمَا تَرَى بِالْحَصَى أَخْفَافَهَا الْجَمَرَ حَامِيَا

ان الشعراء الذين ابدعوا في قصائدهم وانفردوا عن غيرهم ، تميزوا بإداء جمالي خاص ، كونهم اتخذوا من قصصهم الحياتية عنواناً لبدء الغوص في تفاصيل التعبير الخطاب الشعري للتعويض عن الأهمهم وارواحهم وهواجس انكساراتهم ^{٥٥}، يقول الشاعر ^{٥٦} : (بحر الطويل)

لَا حُسْنَهَا حُسْنٌ وَلَا كَدَّ لَالِهَا دَلٌّ وَلَا كَوَقَارَهَا تَوْقِيرُ
إِنَّ اللِّسَانَ بِذِكْرِهَا لَمْوَكَّلٌ وَالْقَلْبُ صَادٍ وَالْخَوَاطِرُ صَوْرُ
وَلَيْتَ جَزَيْتِ الْوَدَّ مِنِّي مِثْلَهُ إِنِّي بِذَلِكَ يَا بُتَيْنَ جَدِيرُ

الابيات احتوت على العفة الغزلية العذرية ، هذا يعني ان الشاعر لم يعتمد الى وصفها المادي ، بل يعني ان ثقافة الدين الجديد اثرت على البيئة الحياتية وعملت مفعوله في توجيه الشعر اي (اختفاء التناول المادي الاباحي المكشوف للمرأة ، وظهور التعلق المعنوي بها ، الذي لا يشرح جسم المرأة ويصف كل جزء فيه) ^{٥٧} ، يقول الشاعر ^{٥٨} : (بحر الطويل)

لو أَنَّ الْهُوَى عَنْ حَبِّ لَيْلَى أَطَاعَنِي أَطَعْتُ ، وَلَكِنَّ الْهُوَى قَدْ عَصَانِيَا

يبقى للصراع تأثيره الاقوى في نفس الشاعر العذري ، فهو يفقد الثقة والسلام النفسي ، مما يهيئ لظهور الفجوات التي تؤدي بدورها الى الانكفاء على الذات ، فينفجر الشاعر بدوره شعراً عذبا ، يريح النفوس ويدخل الى عمق المتلقي ^{٥٩} ، فوحدة الصراع (يتحدد وجودها بكونها نتاج الواقع المعيش للمنشئ ، أي أن المنشئ لا يتكلم ألا حين يتعرض الى صدمة نفسية من فعل ما ، فيكون انشاؤه رد فعل لهذا الباعث ،

وهذا الفعل يستوجب من المنشئ موقفاً أما أن يكون رافضاً للمؤثر أو مستجيب له ومؤيداً (أياد) ^{٦٠} ، ومهما اختلفت انواع الصراع الشعري الادبي فإن هذا الصراع سواء كان داخل الشخصية او خارجها ، عندما تغوص الى اعماق الشعراء العذريين يجد انواعاً من الصراعات لا يمكن ان تتوقف او تنتهي في حقيقتها ، لان مطالب الانسان لا تكف عن اللاحاح ^{٦١} ، فالاستجابة الوجدانية تكون دائماً رد فعل على باعثٍ خارجي مؤثراً ، لأن الباعث أو المؤثر دليل القصد ومعياراً لتوازن الواقعين النفسي و الخارجي في نفس المبدع وبذلك يقضيان الى نص فني أدبي ^{٦٢} ، كما في تصوير الشاعر يقول الشاعر ^{٦٣} : (بحر الطويل)

ولما تناهى الحبُّ في القلب وارداً أقامَ وسُدَّتْ بعدُ عنه مصادره

فأَيُّ طبيب يبري الحبَّ بعدها تشرُّ بهُ بطنُ الفؤادِ و ظاهره

اصطدام الشاعر بالوجود كشف للذات امتحاناً ، هو مدى مقدرة النفس في مواجهة الواقع والتكيف معه واتخاذ موقف منه ، فأحست الذات بضرورة تلمس أبعاد وجودها حتى تتفهم موقفها في ضوء مواجهته النفسية ، وهو يحمل عبء الرفض وما فرض عليه من معاناة ، لذا نجده الشعراء قد يتمردون على الواقع ، لكن في صمت ذاتي وهو عبث لا جدوى منه ^{٦٤} ، فتغلغل اليأس في ذات الشاعر ومحاولة التغلب عليه أمر طبيعي لأن (الحب وسيلة للشقاء من الحزن المقيم ، تشغل الذات به نفسها حتى تترسب أحزانها في القاع ، لكن سيكون الحزن مضاعفاً إذا فُقدَ ذلك الحب أو مات) ^{٦٥} ، يقول الشاعر ^{٦٦} : (بحر الطويل)

وَمَا هَجَرْتُكَ النَّفْسُ يَا لَيْلَ أَنَّهَا قَلَّتْكَ وَلَكِنْ قَلَّ مِنْكَ نَصِيْبُهَا

فَيَا نَفْسُ صَبْرًا لَسْتَ وَاللَّهِ فَأَعْلَمِي بِأَوَّلِ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيْبُهَا

هذا الخطاب الذاتي للنفس اوضح فيها الشاعر مدى القوى التي يمنحها نصه للقراء ، حين يقدم مثلاً حياً عن نفسه ، وهو يللم شتات القارئ في تأمل ذاته العميقة وما تعرض له في فترات حياته المتعاقبة ، وما نتج عنها من الشعور بقيود الظلم و التعسف ^{٦٧} ، فكان هذا التصوير الانفعالي في تصويره الدقيق و العميق لأن الصراع الروحي حصل بين إرادة الذات المشلولة بالرغبة وبين ما يؤمن به من قيم وأخلاقيات اسلامية فرضتها بيئة الشاعر ^{٦٨} .

النتائج:

- ١- إن وحدة الصراع تحدد موقف الشاعر من واقعه فهي تؤثر في عملية القول الشعري ومن ثم حصول الاستجابة الوجدانية بسبب محاورة ذات المنشئ لذلك الواقع .
- ٢- إن الاستجابة الوجدانية لا تحصل الا إذا تعرضت نفس المتلقي إلى باعث خارجي ، فيسبب الم داخلي ومكبوت نفسي يعبر عنها الشاعر بقصيدته ، وبذلك يحظى المجال الثقافي متمثلاً بالرد و الأخذ من قضايا البيئة.
- ٣- إن الشاعر وصراعه سواء كان نفسياً فكرياً او اجتماعياً واقعياً فهو يحاول ان تتكون لديه قدرة على بث الاستجابة الوجدانية المتصلة بالإيحاء، ويوصلها الى السامع او القارئ ، فيدخل نفسه في تحدي كبير يصارع فيه مع خبرته وموروثه من الكلمات والمواقف التي تشجع على توصيل ما اراد ان يوصله .
- ٤- إن الشاعر الذي يشكو حرمانه الدائم يبقى في صراع طويل مع رغباته واحلامه، فقد صارع الشاعر من اجل بقاءه راضياً بقيود الاخلاق والقيم الدينية، فظهرت الشكوى واوضحت على ان لها علاقة ثابتة ومستمرة مع الشاعر .

الهوامش:

- ١ مقابلة مع المشرف العلمي ، د. صباح عباس عنوز ، ٢٠٢٠ / ٢ / ١١
- ٢ ظ: مدامع العشاق ، زكي مبارك ، ط ١ ، المكتبة العصرية للنشر و التوزيع ، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٤٣هـ ، ص ١٣
- ٣ ظ: فنون الادب العربي الفن الغنائي ، د. محمد سامي الدهان ، ط ٣ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر، ١٩٦٨م، ١ / ٣٢.
- ٤ ظ: الظاهرة العذرية بين إبداع الشاعر وخيال الراوي، دكتور عدنان أحمد وحنين بدور ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، المجلد ٣٦ ، العدد ٤ ، ٢٠١٤م ، ص ٣٨٠-٣٨١.
- ٥ علامات في النقد ، حسن النعيمي ، مجلة النادي الادبي الثقافي ، العدد ٤٨ ، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣م، ص ٥

- ٦ ظ: لسانيات الخطاب وانساق الثقافة ، د. عبد الفتاح احمد يوسف ، ط١ ، دار العربية العلوم ، بيروت - لبنان، ٢٠١٠ م ، ص ٢٦٥
- ٧ حسان بن ثابت حياته وشعره، احسان النص ، ط١ ، دار الفكر الحديث للطبع والنشر ، دمشق - سوريا، ١٩٦٥ م ، ص١٧٤
- ٨ ظ: علم النفس المعاصر ، حلمي المليجي ، ط١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة - مصر ، ١٩٧٢م ، ص١٥٧
- ٩ ظ: الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ، يوسف اليوسف ، ط١ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق - سوريا ، ١٩٨٧م ، ص ٢٧ .
- ١٠ تجليات الصراع في شعر المتنبي دراسة في الرؤية و التشكيل ، رسالة للطلّاب مفلح ضبعان الحويطات ، بإشراف ، أ.د. أنور أبو سويلم ، جامعة مؤتة ، ٢٠٠٨ م ، ص ٨
- ١١ ظ: اثر التراث الجاهلي في الشعر الاموي ، أطروحة للطلّاب حسين عبد الحسين ، بإشراف أ . م. د. حاكم حبيب الكريطي ، جامعة الكوفة - كلية الآداب ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ص ١٢٥ .
- ١٢ ظ: اتجاهات الشعر في العصر الاموي ، د. صلاح الدين الهادي ، ط١ ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ١٩٨٦ م ، ص٤٤٦
- ١٣ ظ: الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ، ص ٥٦
- ١٤ ظ: الحياة الادبية في عصر صدر الاسلام ، محمد عبد المنعم خفاجي، ط١ ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، ١٩٨٤ م، ص ٤٢
- ١٥ ظ: الغزل العذري دراسة في الحب المقموع ، ص ١٢٨.
- ١٦ حول المسرح الاسلامي ، نجيب الكيلاني، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت -لبنان ، ١٩٨٧م ، ص٤٢
- ١٧ ظ: الغزل العذري حتى نهاية العصر الاموي ، ص ٣٣
- * جميل بن عبد الله بن معمر ، اشهر ما كتب في الشعر العذري الاسلامي ، وبثين لقب له ، وهي ابنة عمه ومعشوقته ، احبها وهو غلام صغير وهي جويرية لم تدرك ، يقول :
- وأول ما قاد المودّة بيننا بوادي بَغِيضٍ ، يا بُثَيْنَ، سبابُ
فقلنا لها قولاً ، فجاءت بمثله لكلّ كلام ، يا بُثَيْنَ ، جوابُ

فتعلق قلبه بها حتى اشتهر ، وعندما اشتهر ، تحدث الناس بهم كثيرا داخل القبيلة وخارجها ، فعندما تقدم لخطبتها ، ابي ابويها ان يزوجها له ، وتزوجت من غيره ، ومن هنا بدأت معاناة حبه وقصة عشقه الى ما لا نهاية ، ظ: ديوان جميل ، ص ٦ ، الاغاني ، ٦٥٤

١٨ ظ: الغزل عند العرب ، ص ١٧٥

١٩ ديوان الشاعر جميل بن معمر ، تحقيق وشرح بطرس البستاني ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ص ٣٨

٢٠ الابعاد النفسية في شعر الغزل العذري عند جميل بثينة، م . م . إبراهيم حسن صالح الجبوري ، د. محمد ياس خضر الدوري ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، مجلد ١٦ ، العدد ٥ ، تكريت - العراق ، ٢٠٠٩ م ، ص ١٣٨ .

٢١ ظ: الوشاية في شعر العشاق في العصر الاموي دراسة في المضمون ، د. حسين عبد حمزة الوطيفي ، مجلة كلية الاسلامية الجامعة ، المجلد ١٧ ، العدد ١٢ ، النجف الاشرف - العراق ، ٢٠١٠ م ، ص ٤٦ .

٢٢ ديوان الشاعر قيس بن الملوح ، دراسة وتعليق يسرى عبد الغني ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ص ٦٥ .

٢٣ ظ: مفهوم الصراع الاجتماعي ، الف داهرنوف ، <https://www.marefa.or 9>

٢٤ ديوان الشاعر كثير عزة ، جمعه وشرحه د . احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، ص ١١٢ ،

• نقعت : رويت ، يقال شربت حتى نقعت ، عجت : انتفعت

٢٥ ظ: الشعر في صدر الاسلام والاموي ، محمد مصطفى هدار ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٥ م ، ص ٢٦٢

٢٦ ديوان قيس بن الملوح ، ٣٠

٢٧ ظ: مفهوم العذرية بين إبداع الشاعر وخيال الراوي ، د . عدنان و حنين بدور ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، مجلد ٣٦ ، العدد ٢٠١٤ م ، ص ٤٨ .

٢٨ تاريخ الادب العربي في العصر الاسلامي ، د. شوقي ضيف ، ط ٧ ، دار المعارف للنشر ، القاهرة - مصر ، ١٩٦٠ م ، ص ٥٦ .

- ٢٩ ظ: الزهرة ، لأبي بكر محمد بن داود الأصفهاني (ت ٢٩٧هـ) ، تحقيق د. إبراهيم السامرائي و د. نوري حمود القيسي ، ط٢ ، دار المنار للطباعة والنشر، الزرقاء -الأردن ، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٥ م ، ص١٥٥
- ٣٠ ديوان جميل بن معمر ، ص ٨٩
- ٣١ ديوان الشاعر عروة بن حزام ، جمع وتحقيق وشرح انطوان محسن القول ، ط١ ، دار الجيل للطباعة والنشر ، بيروت -لبنان ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م . ص ٣٩
- ٣٢ الغزل العذري ، يحيى الجبوري ، ط ١ ، دار البشير للطباعة والنشر، عمان - الاردن ، ٢٠٠٥ م ، ص ٣٨.
- ٣٣ ديوان كثير عزة ، ص ١١٢ .
- الأقران : الأسباب يعني علائق المودة ، الحليل : الزوج
 - عجت : انتفعت
- ٣٤ ظ : دروس في الادب الجاهلي و الاموي ، صالح مفقودة ، ج ١ ، شركة الهدى ، عين مليلة - الجزائر ، ٢٠٠٣ م ، ص ٣٧/١ .
- ٣٥ ظ: التحليل النقدي و الجمالي للأدب ، عز الدين اسماعيل ، ط١ ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ١٩٧٩م ، ص ٨٠-٨١
- ٣٦ ظ : مفهوم الصراع في الشعر العربي شعر الخواارج نموذجاً ، م.م. سعد صبار نمال ، مجلة جامعة الانبار للغات و الآداب ، العدد ١٨ ، ٢٠١٥ م ، ص ١٨٤
- ٣٧ العشاق الثلاثة ، ص ١٨٥
- ٣٨ م ن ، ص ١٧
- ٣٩ ديوان قيس بن ذريح ، ص ٥٨ .
- البوّ ، ولد الناقة الذكر
- ٤٠ ظ: صراعات الشعراء هل أثرت على مكانة الشعر وتلقيه؟ ، عبد الرحمن الخضير ، <http://www.alriyadh.com/>
- ٤١ تحقيق الذات أوهام الرغبة والقدرة ، خيرى منصور ، <https://www.alquds.co.uk/>
- ٤٢ ديوان جميل بثينة ، ص ٣٢

- ٤٣ الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري ، د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي ، ط١ ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان - الاردن ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م ، ص ١٤٢.
- ٤٤ ديوان جميل بثينة ، ص ٢٥
- ٤٥ ظ: في الحب والحب العذري ، ٥
- ٤٦ الاغانى ، ٥/٥_٦
- ٤٧ الغزل الحجازي والحضري في العصر الاموي ، ص ٥٠
- ٤٨ ديوان عروة بن حزام ، ص ٣٠
- الالائف : الاحباب
- ٤٩ ظ: اثر الشكوى في شعر ابي فراس الحمداني وتميم بن المعز لدين الله الفاطمي ، محمود سهيل عبد الله ، مجلة الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٠٧ ، ٢٠١٤م ، ص ٢٠-٢١
- ٥٠ ظ: الحب والحب العذري ، ص ٣٢
- ٥١ ديوان جميل ، ص ٦٧
- ٥٢ ديوان كثير عزة ، ص ٨١
- ٥٣ ظ: تأثر الادب الصوفي بالغزل العذري الحلاج ، ابن الفارض و البوصيري نموذجاً ، رسالة للطلالبة رفيده محمد طعمة القضاة ، بإشراف د. نجود عطا الله الحوامدة ، جامعة جرش الاهلية ، مدينة جرش - الاردن ، ٢٠١٦م ، ص ٥٠
- ٥٤ ديوان توبة بن الحمير ، ص ٥٣ .
- ٥٥ ظ: قصيدة الاداء الجمالي مأساة النرجس وملهاة الفضة نموذجاً ، ا.م.رحمن غركان عبادي ، جامعة القادسية ، مجلة آداب البصرة ، العدد ٤٧ ، ٢٠٠٨م ، ص ١
- ٥٦ ديوان جميل بثينة ، ص ٦٠
- ٥٧ الشعر في حضرة اليمامة حتى نهاية العصر الاموي ، عبد الرحمن الدباسي ، ط١ ، كتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٦م ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨
- ٥٨ ديوان توبة بن الحمير ، ٥٢ .
- ٥٩ ظ: الحجج المؤسسة لبنية الواقع في استعطاف شعراء العصر الأموي ، أ.م.د. إنصاف سلمان علوان و سجي حامد نعمة ، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة بابل ، العدد ٤١ ، ٢٠١٨م ، ص ١٤

- ٦٠ أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية ، ص ٣٣
- ٦١ ظ: الدراما في الشعر -تقنيات التشكيل ومسرحة القصيدة ، د. م ريم محمد طيب الحفوظي ، ط١ ، دار الخليج للصحافة و النشر، عمان - الاردن ، ٢٠١٨م ، ص ٩٤ .
- ٦٢ اثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية ، ص ٤٨ .
- ٦٣ ديوان يزيد بن الطثرية ، ص ٧٤ .
- ٦٤ ظ : الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٤٧ .
- ٦٥ الاغتراب في شعر نازك الملائكة ، د. ساجدة عبد الكريم خلف التميمي ط١ ، دار غيداء للنشر و التوزيع ، عمان - الأردن ، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٧م ، ص ٥٠
- ٦٦ ديوان قيس بن ذريح ، ص ٤٧ .
- ٦٧ ظ : صفوة الكتاب في اللغات و الآداب ، مجموعة بحوث جمعت بإشراف د. فوزية عساسلة ، ط١ ، دار خالد اللحاني للنشر و التوزيع ، عمان - الاردن ، ٢٠١٧م ، ص ٥٢ .
- ٦٨ أصول الوعي الوظيفي ومستويات تحقيقه في الشعر العربي الحديث ، د. بتول أحمد جندية ، بدون طبع ، ٢٠١٧ م ، ص ٢٣٥ .

